مَع الياء من اسم العَلم "العاصي"

د. إبراهيم السامرائي

لقد قرأت البحث الموسوم بـ"الياء من اسم العلم العاصي" للأستاذ صبحي البصام في العدد (٣٤) من مجلة المجمع، قراءة مستفيد، فسرني استيفاؤه المسألة، وإصلاحه لما درج عليه الكاتبون والمعربون من حذف الياء من "العاصي" اختصاراً، وهو غلط.

إن الفوائد الكثيرة التي بسطها الأستاذ البصام مفيدة كل الإفادة. أصاب فيها الغرض، ولي أن أقول: "قطعت جهيزة قول كل خطيب".

وكنت قد وقفت على قول العلّامة أحمد زكي باشا – رحمه الله تعالى– منذ أكثر من ثلاثين سنة في "كتاب التاج في أخلاق الملوك" المنسوب إلى الجاحظ على "حاشيته": الصفحة (١٩٦) وأدرجتها في جملة "أوهام الخواص".

إن قول المحقق: "... ان "العاص" من "العَوَص" قول غريب، وغرابته أن يصدر من عالم جليل عُرف بالضبط والإتقان، ولو أنه قال: إن "العيص" و"أبا العيص" من "العوص" لكان ذلك وجهاً، فأما أن يكون "العاص" (كذا: من "العوص" فمردود اشتقاقاً، ألا ترى أنك تقول من "العوص" "عائص" كما تقول من "القول" قائل. وإن "العاصي" من "عَصَى يعصي" فهو منقوص، وحذف ياء المنقوص معروفة في الرفع والجر فأمّا إذا كان محلّى بالألف واللام فالياء تثبت فيه "العاصي". إن هذا شيء عرفناه ونحن صبية شداة.

والذي أشار إليه المحقق في حاشيته التي أحالت على "لسان العرب" لم يرد في "عوص"، بل إن "العاصي، في مادة، عصي، كما أشار الأستاذ البصام، الكلام فيها على "عصاة قريش".

ولم أقف، وأنا في صنعاء، على "كتاب الاشتقاق" لابن دريد لأتبين ما ورد فيه، وكان العلّامة الجليل قد أشار إليه في "حاشيته". ما أظن أن ابن دريد قد ذهب إلى أن "العاص" من "العوص". مع ما قيل في ابن دريد وفي معرفته بالتصريف والاشتقاق. قال ابن جني: "وأما كتاب "الجمهرة" ففيه أيضاً من اضطراب وفساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر.."[١].

ولا أدري أذهب المحقق العلامة في وهمه فحسب أن "العاصي" الذي حذفت ياؤه من "العوص" هذه المادة الموجزة في المعجم التي تفيد ضد الإمكان واليسر، ومنها الكلام العويص .. وقد اعتاص وأعوص في المنطق، والكلمة العوصاء .. وأين هذا من "عصاة قريش" الذين أشار إليها صاحب "اللسان".

لقد ذهبت في ظني إلى أشياء عدة، وما أحسب أني كنت مصيباً في الظن. لقد رأيت أن في العربية يتحول بعض الأجوف إلى الناقص، وهذا في كلمات معدودة وليس مطّرداً.

ومن ذلك ما ورد في ترجمة (هور) في "لسان العرب": وفي حديث خزيمة: تركتُ المُخّ راراً والمطيّ هاراً.

و"الهار" هو الساقط الضعيف، ويقال: هو هارٌ وهارٍ وهائر، فأما "هائر" فهو الأصل (لأنه من الأجوف هار يهور)، وأما "هارٌ" فعلى حذف الهمزة، وأما "هارٍ" فعلى نقل الهمزة إلى ما بعد الراء، كما قالوا:

شائك السلاح وشاكِ السلاح.

أقول: وعندي أن الأصل في "شائك السلاح" و"شاكِ السلاح" هذا هو الأصل المضاعف ان "شكّه" السلاح: ما يلبس منه.

وقد تحولت "الشكّة" المضاعفة إلى الأجوف "شائك" والمنقوص "شاكي". وكما لم يشع اسم الفاعل من "آنَ يئين"، وذهبوا إلى اسم الفاعل من "أنَى يأني" وهو مقلوب عن الأصل، فقالوا "آنٍ" منقوصاً، ولم يقولوا: "آئن" لمكان الثقل.

قال أبو زيد: هو شاكٍ في السلاح، وشائك، وإنما يقال: شاكٍ إذا أردت "فاعل"، فإذا أردتَ معنى "فَعِلٍ" قلت: هو شاكٌ للرجل. وقال الفراء: رجل شاكي السلاح، وشاكُ السلاح برفع الكاف مثل هارٍ وهارٌ، قال مرحب اليهودي حين بارز عليّاً:

قد علمت خَيبَرُ أنّي مرَحَبٌ شاك السلاح بَطَلٌ مجرَّبُ

وقالوا: رجل مالٌ ونالٌ، من المال والنوال، وإنما هو: مائل ونائل في الأصل. وفي العربية من هذا شيء يعد من الغريب المفيد الذي يبرز سعة العربية وشجاعتها. ومنه ما كان في ترجمة "رادُ يرود" واسم الفاعل "الرائد".

ومنه حديث الحجاج في صفة الغيث، قال: "وسمعت الرُوّاد يدعون إلى ريادتها"، أي تطلب الناس إليها.

وفي حديث وفد عبد القيس: إنا قوم رادة. مثل حاكة جمع حائك، أي نرود الخير والدين لأهلنا.

وقد جاء من هذا "رادٌ".

وقالوا: إنه إما أن يكون "فاعلاً " ذهبت عينه، وإما أن يكون "فَعَلا"، إلا أنه إذا كان "فَعَلاً" فإنما هو على النسب لا على الفعل، قال أبو ذؤيب:

فبات يجمع ثم تَمَّ إلى منىً فأصبح راداً يبتغي المزحَ بالسَّحْل

ورجل"رادٌ" بمعنى "رائد"، وهو "فَعَل" بالتحريك بمعنى "فاعل" كالفرط بمعنى الفارط.

وبعد فهذه نبذة يسيرة هداني إليها بحث أخي الأستاذ البصام فله منى أزكى التحية وأوفى السلام.